جهاد الصوفية في سبيل الله عقيدةً وسلوكًا

م. د. عادل علاوي النعيمي (*)

الملخص

لقد كان للتصوف الإسلامي أثر على استنهاض الهمم في الدفاع عن حياض الإسلام وأهله ، وهنا لا بد لنا أن نتعرض لتاريخ أكابر الصوفية الأوائل والذين جاؤوا بعدهم حتى عصرنا الحاضر ، لنرى هل أنهم حقاً كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، أم أنهم مُثَهَمُونَ بالتقاعس عن الجهاد في سبيل الله ، منقطعون عن مجتمعاتهم مُنعَزِلونَ عن الأمّة وما تواجه من تحديات ؟ .

وهكذا تكون التجربة الصوفية تغييراً جذرياً لشخصية الفرد من الأنانية والدونيّة في سلوكه وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين إلى شخصية تحمل القيّم الإنسانية بكل معانيها ، هذا بلا شك إبراز للجانب الأخلاقي للتصوف الإسلامي ، وهذا التغيير في شخصية الفرد هو الهمّ الأول الذي يركّز عليه أكابر شيوخ التصوف ، ومعهم أساتذة التربية المدركين لقيمة الأخلاق ، خاصة عندما تتعرض الأمة للأخطار المحدقة وللتحديات الكبرى .

ولما كانت عقيدة الجهاد تستند الى آي القرآن الكريم وكذلك الى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، التي مضت في الحث على الجهاد في أحاديث كثيرة ؛ كل ذلك رسخ تلك الفريضة في قلوب وعقول أبناء الأمة التي سرعان ما تمثلتها تلك الأجيال وسعت الى تجسيدها الى سلوك عملي ،؛ فنقلت تلك المبادئ من التأصيل القرآني والنبوي الى مسيرة حياة عملية وواقع ملموس ؛ وذلك - كما قلنا - لما تحتله فريضة الجهاد من مكانة مرموقة في شريعتنا الغراء، فالجهاد يعد سنام الاسلام وقطب الرحى في نشر الدعوة الاسلامية بين الناس بادىء ذي بدء بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة لمن يقبل الحوار ويتبادل الآراء ، ولمن أبى واستكبر كان للجهاد أبوابا متعددة وقفت عليها هذه الدراسة فشملت جوانبها المتعددة :

(*) كلية السلام الجامعة adil.a.shafi@alsalam.edu.iq

المقدمة

لقد كان للتصوف الإسلامي أثر على استنهاض الهمم في الدفاع عن حياض الإسلام وأهله ، وهنا لا بد لنا أن نتعرض لتاريخ أكابر الصوفية الأوائل والذين جاؤوا بعدهم حتى عصرنا الحاضر ، لنرى هل أنهم حقاً كانوا رهباناً بالليل فرساناً بالنهار ، أم أنهم مُتَهَمُونَ بالتقاعس عن الجهاد في سبيل الله ، منقطعون عن مجتمعاتهم مُنعَزِلونَ عن الأمّة وما تواجه من تحديات ؟ .

من هنا جاءت هذه المقاربة لتسهم في بيان مواقف وسلوك الصوفية التي عكست عقيدتهم في الجهاد ، فقد اشتملت الدراسة على أربعة مباحث مع مقدمة فكان المبحث الأول عبارة عن إلقاء ضوء على الجهاد بعده سنام الإسلام، وما كان للصوفية فيه من باع طويلة فنراهم حازوا شرف الجهاد بالقلب ، لكون طريقهم مبنيا على جهاد النفس والشيطان عن الاقتراب والتدنس بالشبهات فضلا عن الوقوع في المحرمات.

كما رأينا من الصوفية مَنْ تبوّأ موقع الصدارة في نصح الحكام والسلاطين ووعظهم مما ترك أثرا ايجابيا على نفوس الحكام وعلى أبناء الأمّة كافة ، وهذا إن دلَّ على شيءٍ إنما يدلّ على الأسس التي يستند عليها كبار مشايخ الطريق في وقوفهم ضد فساد الحكام وضد طغيان السلاطين المتجبرين عبر تاريخ التصوف الإسلامي

وإذا ما انتقلنا إلى جهادهم بالسيف ومشاركتهم في الفتوحات أو في الدفاع عن ثغور دولة الخلافة الإسلامية من خلال إقامتهم في الرُّبَط المنتشرة على ثغورها المترامية الأطراف ، فإن التاريخ قد سجل لهم هذه المشاركات التي تُعبّر عن إخلاص الصوفية لله تعالى ، وحُسن اقتدائهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وعدهم الجهاد سنام الإسلام وفريضة على المسلمين

وأما المبحث الثاني فقد كان لمحة تاريخية عن جهاد أكابر شيوخ الصوفية بدأت - هذه اللمحة - بقمة في هرم سلسلة المشايخ الصوفية مَنْ كان له قدم صدق في العلم والزهد والمرابطة والجهاد في سبيل الله ، ألا وهو الشيخ الحسن البصري بعده مرجعا جليلا للصوفية ، علما وعملا وحالا، مرورا بمشاركات مشايخ الصوفية الكبار ، في المرابطة في الثغور أو الغزوات علي طول الساحة الاسلامية المترامية الاطراف ، من أمثال ابراهيم ابن الأدهم وعبدالله بن المبارك وحاتم الأصم والبسطامي وأبو حمزة البغدادي و السري السقطي وصولا الى الجنيد البغدادي المُجمَع على فضله و إمامته وتقدمه في سائر العلوم ، فكان هذا المبحث [الثاني] تدوينا لوقائع من سوح الوغى و ميادين القتال ، كان للصوفية فيها القدح المعلى وذلك لتضحيتهم بالغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الحق ونشر الرسالة المحمدية في أصقاع الأرض.

وتناول المبحث الثالث جهاد الصوفية في العصر الحديث ، حيث استمر التصوف في عصرنا الحديث على النهج الذي سار عليه في العهود السابقة فواجه مستجدات الأحداث التي فرضتها الظاهرة الاستعمارية في العصر

الحديث ، فاتجه أصحابه إلى الجهاد لمواجهة المستعمر في كل البلدان الإسلامية ، فقد شاركت الطرق الصوفية في أعمال المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي والبريطاني والايطالي على طول الساحة العربية من المشرق الى المغرب العربي ،؛ فكانت أغلب الثورات تتمحور حول حول الطرق الصوفية وزعمائها في بلاد الشام والعراق وشمال أفريقيا.

أما المبحث الرابع فقد كان تحت عنوان (الأمة بين تحديات الحاضر وآفاق المستقبل) ، وكان بمثابة استنتاج للخروج من واقع مرير تعيشه الأمة ، وسبيل لا بد لأجياها الحاضرة من تنكب سلوك طريق نهضتها للخلاص من حالة الركود والتقاعس للارتقاء الى دورها الحضاري واستئناف حمل رسالتها رسالة المحبة والهداية والرشاد للإنسانية جمعاء.

وبذلك يتجلى لنا ؛ أن الصوفية كانوا رهبانا في الليل وفرسانا بالنهار ، مبرؤون من تهمة التقاعس عن الجهاد في سبيل الله ، وغير منقطعين عن مجتمعاتهم بل هم يعيشون في خِضّم الأحداث ويواجهون شتى التحديات ؛ ذلك لم يأت اعتباطاً وإنما كان نتيجة سلوكهم طريق المجاهدة للنفس التي تعدّ الجهاد الأكبر ، لامتثالهم قول الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى » ، وبالانتصار على النفس يتمكن الإنسان من تحقيق معنى العبودية لله بالتزام شريعته ، وبذلك جسّد الصوفية - من خلال اندفاعهم إلى ميادين الجهاد - الارتباط الإسلامي بين العبادة والجهاد ، بين العقيدة والسلوك ، مما جعل اندفاعهم في ميادين الجهاد سببا لانبعاث الشعور الديني في الثغور والرباطات مما كان له أبعد الأثر في الصمود و النصر بشجاعتهم ودعوتهم الجنود للاستبسال والصدق مع الله .

كل ذلك كان سلوكا للصوفية الحقة الذين استلهموا عقيدة الجهاد بعده سنام الإسلام ووظفوها على أرض الواقع ؛ فكان تجسيدا حيا للفكر الصوفي المستند على الكتاب والسنة ، ذلك التجسيد الحي الذي ظهر على شَكل كلمات حق قيلَت لا خوفا من سلطان ظالم ولا من حاكم جائر، أو كان على شكل حملة ضد معتدٍ غازٍ أو كان مشاركة بفتحٍ يُنَوِر القلوب ويرسخ الإيمان قبل فتح الحصون والقلاعٍ.

وهكذا تكون التجربة الصوفية تغيرا جذرياً لشخصية الفرد من الأنانية والدونيّة في سلوكه وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين إلى شخصية تحمل القيّم الإنسانية بكل معانيها ، هذا بلا شك إبراز للجانب الأخلاقي للتصوف الإسلامي ، وهذا التغيير في شخصية الفرد هو الهمّ الأول الذي يركّز عليه أكابر شيوخ التصوف ومعهم أساتذة التربية المدركين لقيمة الأخلاق ، خاصة عندما تتعرض الأمة للأخطار المحدقة وللتحديات الكبرى .

المبحث الأول

الجهاد سنام الإسلام .

بدايــة نبيّــن أن الجهــاد على أربعــة أنواع : جهاد بالقلب وجهاد باللســان وجهاد باليد وجهاد بالســيف « فالأول جهاد النفس والشــيطان عن المحرمات والشهوات وفيه قال صلى الله تعالى عليــه وســلم : « المجاهد من جاهد نفســه»[1]، والثاني الأمــر بالمعروف والنهــي عن المنكر والثالث جهاد العامة بالحدود والآداب ونحوها ، وهو نصيب الأمراء ، ليس لأحد فيه شيء ، إلاّ الرجل في أهله بالوجه السائغ له ، والرابع جهاد الكفّار بالسيف ، وفرائضه خمس : طاعة الإمام وتــرك الغلــول والثبــات عند الزحــف والوفاء بالأمان وثبات الواحد للاثنين فأقل»[2] .

وفــي الصفحــات القادمــة ســنرى الصوفية حازوا شــرف الجهــاد بالقلب ، لكــون طريقهم مبنيّاً على جهاد النفس والشيطان عن المحرمات والشــهوات وعــن الوقوع في الشــبهات ، وإذا كان الأمــر والنهــي عــن المنكــر واجب على الجميع فالصوفية لم يثنِ عزمهم شــيء عن أداء رســالتهم الدعوية بين النــاس كونهم أقرب إلى القاعــدة الشــعبية والتصاقهــم بالجماهير أكثر، فلــم يقتصــر واجبهم علــى النصح والإرشــاد بل كانوا يتحسســون مشــكلات النــاس الحياتية والاجتماعية ، ويبذلون جهداً مادياً ومعنوياً في إعانتهم على مواجهتها والتغلّب عليها ، وإذا كان واجــب الأمراء جهاد العامــة بالحدود والآداب كما أســلفنا فــإن من الصوفيــة مَنْ تبــوّأ موقع الصدارة في نصح الحكام والسلاطين ووعظهم ممــا كان له الأثر الايجابــي على نفوس الحكام وعلى أبناء الأمّة كافة ، وهذا إن دلَّ على شيءٍ إنمــا يدلّ على الأســس التي يســتند عليها كبار مشــايخ الطريــق في وقوفهم ضد فســاد الحكام وضد طغيان الســلاطين المتجبرين عبر تاريخ التصوف الإسلامي ، والأمثلة التي نوردها في هذا السياق إنما تعبّر عن صدق كلماتهم الخالية من الخــوف والنفاق ، وجرأتهم على قول كلمة الحــق في وجه الســلطان الجائر، فمن المواقف الجريئة للشــيخ الحســن البصري ، أنه لمّا وُليَّ الحجاج بن يوســف الثقفي العراق وزاد طغيانه وتجّبره ، وقف الحســن البصــري في وجهه ، فخاطــب الجموع الغفيــرة التي خرجت تطوف بالقصر الذي بناه الحجاج لنفسه،وهم مندهشين بروعــة بنائه ، وقف فيهم خطيبــاً وقال : « لقد نظرنا فيمــا أبتنى أخبث الأخبثيــن ،فوجدنا أن فرعون شــيّد أعظم مما شــيّد ، وبنى أعلى مما بنــى ، ثم أهلــك الله فرعون ، وآتى على ما بنى وشــيّد .. ليــت الحجاج يعلم أن أهل الســماء قد مقتوه ، وأن أهل الأرض قد غرّوه» .

وأن أبــا الحســين النــوري[3] لمــا سُــعيَّ به وجماعتــه عنــد الخليفــة الموّفق (العباســي) ، ونُسِبَ الصوفية إلى الزندقة فـ « قبض العسكر على النوري وجماعته ضمن من قبضوا عليهم، فأمر الخليفة بإعدام الجميع بتهمة نشــر الإلحاد وجــاء الســيّاف وصفّهم بعــد أن قيّدهم ، فطلب منه النوري أن يسبق أصحابه ، ولما ناقشه برّر عملــه بأن طريقته مبنيّة على الإيثار ، وهؤلاء أصحابه يفتديهم ولو بهذه الأنفاس القليلة ، مبيّناً أنَّ النَفَسَ الواحد في الدنيا خير من ألف نفس في الآخــرة ؛ لأنَّ الدنيــا دار خدمة ، والآخرة دار القربــى ، ولا تُنال القربــة إلاّ بالخدمة ، وحمل

وحمـلَ السـيّاف مـا دار بيّنه وبين النـوري إلى الخليفة ، فتعّجب وأمر بإعادة محاكمتهم واسـتمع القاضـي لهـم فكتب إلـى الخليفة : لـو أنَّ هؤلاء ملاحدة فليس على وجـه الأرض موّحد ! فأطلق الخليفـة سـراحهم» [٤] . إن المعاني التي تحملها قصـة النوري هذه إنما تمثل أرفع وأسـمى أنواع الشـجاعة الخلقية ، وأرقى أنـواع الإيثار ، وهي من باب الجود والسخاء بالنفس وكما قال الشاعر:

يجود بالنفس إن ضـنّ الجـواد بهـا

والجو بالنفس أقص غاية الجود[٥]

واسـتمر كبـار رجـال التصـوف الإسـلامي يسـتنهضون الأمراء والسـلاطين للقيـام بأعباء المسـؤولية التـي آلـت إليهـم ، ففي فتـرة الغزو الصليبـي الذي تعرّضت له الأمة ، نجد الإمام أبا حامـد الغزالي « يكتب إلى ابن تاشـفين» [٦] ملك المغـرب يسـتنهضه ويقول له فـي عنف المؤمن الذي لا يعرف في الحق لومة لائم : إمّا أن تحمل سيفك في سبيل الله وإمّا أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك[٧] .

وفـي هذا السـياق يمكن أن نشـير إلى مواقف السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني الجريئة وكلماته التي كان يطلقها في بغداد من على منبر التمكين، ولـم يكتـفِ بتوجيهها إلى الفاسـدين من الوزراء والأمراء والأغنياء بل وشملت حتى الخليفة نفسه عندما خاطبه من على المنبر -عندما ولى الخليفة قاضـي قضاة ظالم- والخليفة يسـتمع ويرتعد من كلمات الشـيخ التـي يقولها ولا تأخذه في الله لومة لائـم : وليّتَ على المسـلمين أظلـم الظالمين ، ما جوابـك غداً عنـد ربّ العالميـن ، فارتعد الخليفة وبكى وعزل القاضي المذكور لوقته ، ولم يقتصر النقد اللاذع الذي وجهّه السـيد الشـيخ الجيلاني ، إلى فئة دون أخرى ، بل شمل جميع شرائح الأمّة آنذاك[٨] .

وفـي القرن السـابع الهجري قال الشـيخ محي الدين ابن عربـي الكلمة الخالدة للملك الكامل[٩] : « إنك دنيء الهمّة والإسلام لن يعترف بأمثالك»، وفـي مصر قاد الإمام الدردير ، الثورة الوطنية على الأمراء المماليك التي اشـتعل لهيبها في عام ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٦ م والتـي أعلنـت لأول مرة عن حقوق الإنسـان قبل الثورة الفرنسـية بثلاث سـنوات ، وكان من نتائج هـذه الثورة المباركة ، اعتراف المماليك بأن الأمّة هي مصدر السلطات، وعدم فرض ضرائب جديدة إلاّ برأي الشـعب ، واعترافهم بحرية الأمّـة وكرامتها[١٠] ، وفي هذا العصر الذي تتصـدر فيه الطريقة العلية القادرية الكسـنزانية الخطاب الصوفـي المعاصر ، نرى أن رئيسها السيد الشـيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان يخاطب الفاسدين « إننا إن شاء الله نقوّم الاعوجاج في النفوس المريضة الوسخة ، هؤلاء الذين يريدوا أنْ يذلوا –أستغفر الله– شعبنا، ونحن هنـا لا نتحدث قومية معينة ، بل نقصد الفاسـدين فـي كل القوميات ، فهم جيش الشـيطان ، إن كان كرديًـا أو عربيًـا أو آثوريًا أو مـت أي عرقٍ أو مذهبٍ أو دين» [١١] .

ولو تتبعنا جهـاد الصوفية في قول كلمة الحق في وجه السـلطان الجائر لطال بنا المقام، ولكننا نكتفـي بالأمثلة التي أوردناها، لننتقل إلى جهادهم بالسـيف ومشـاركتهم في الفتوحات أو في الدفاع عن ثغور دولة الخلافة الإسلامية أثناء إقامتهم في الرُبَط المنتشرة على ثغورها المترامية الأطراف، هذه المشـاركات التي تُعبّر عن إخلاص الصوفية لله تعالى، وحُسـن اقتدائهم برسول الله (صلى الله تعالى عليه وسـلم) وعدهم الجهاد سـنام الإسلام وفريضـة على المسـلمين، لذا سَـنُلَمِّحُ عن جهاد كبار رجال التصوف الإسلامي.

المبحث الثاني
لمحة تاريخية عن جهاد أكابر شيوخ الصوفية .

سنبدأ بقمة في هرم سلسلة المشايخ الصوفية، ومَنْ له قدم صدق في العلم والزهد والجهاد والمرابطة في سبيل الله، ألا وهو الشيخ الحسن البصري بعده مرجعاً جليلاً للصوفية، علماً وعملاً وحالاً، والذي يعدّه الكثير من الحُفّاظ أنه لازم الجهاد كما لازم العلم والعمل، كما كان أحد الشجعان الموصوفين في الحرب[١٢] ، وهو القائل : « ما عُمِلَ عَمَلٌ بعد الجهاد في سبيل الله أفضل من ناشئة الليل»[١٣] . لقد سُئِلَ الحسن البصري[١٤] : هل غزوت ؟ قال: نعم غزوة كابل مع عبد الرحمن ابن سمرة [١٥] .

ومن هؤلاء إبراهيم ابن الأدهم ، الذي تَزَهَّدَ وساح البلاد ، وجعل ثغور الإسلام له مقاماً، مرابطاً ومجاهداً وداعياً إلى الله ورسوله ، يقول عنه ابن عساكر : لقد كان فارساً شجاعاً ومقاتلاً باسلاً رابط في الثغور والمعارك ضد البيزنطيين[١٦] ، خرج للشام طلباً للحلال المحض ، فأقام فيها غازياً ومرابطاً يلزم الورع الشديد والجهد الجهيد حتى مات ، وحِكَمَهُ في الدعوة إلى الله عزّ وجلّ مأثورة في كتب القوم وغيرهم[١٧] ، لقد تتلمذ على يديه وتابعه الكثير من المجاهدين ، مات وهو قابض على قوسه متهيئ لرمي العدو في جزيرة من بحر الروم سنة ١٦٢هـ[١٨] .

وعبد الله بن المبارك الذي كان يغزو سنة ويحج سنة ويتاجر سنة ، وما يحصل عليه في تجارته يوزعه على الفقراء ، أو يصحبهم في الحج على نفقته ، كان من الربّانيين في العلم ومن المذكورين في الزهد ، خرج من بغداد إلى الثغر مرابطاً ومجاهداً وصحب الصوفية في تلك الرحلة[١٩] ، لقد توفيّ منصرفاً من الغزو سنة ١٨١هـ[٢٠] ، وكان يقول لمريديه : رابطوا بأنفسكم على الحقّ وذلك أفضل الرباط، وفي طرسوس حيث كان مرابطاً ، أملى على الفضيل بن عياض سنة سبعين ومائة هذه الأبيات :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يُخّضبُ خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يُتعبُ خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهجُ السنابك والغبار الأطيب[٢١]

وله كتاب في « الجهاد « وكان أول من صنَّفَ فيه ، وكتاب أسماه « الرقائق « في الزهد والتصوف ، توفيّ ببلدة هيت على الفرات، منصرفاً من غزاة الروم سنة ١٨١ هـ» [٢٢].

وحاتم الأصم كان يقال فيه « لقمان هذه الأمة» ، تتلمذ على شقيق البلخي ، وقد حجَّ مرة وبلغ من كان معه من تلاميذه ممن يلبسون الصوف ثلاثمائة وعشرون رجلاً ، وكان دائم الصحبة لشقيق ، حتى أنه اشترك معه في حرب الترك ، ويروي حاتم عن ذلك : فأخذني في ذلك اليوم تركيّ فأضجعني للذبح ، فلم يكن قلبي به مشغولاً وإنما كان شغله بالله ، أنظر ماذا يأذن الله فيَّ ، فبيّنما التركيّ يطلب السكين من جفنته – يعني الغمد – إذ جاءه سهم غادر فذبحه ، فألقاه عنّي ، وفي تلك المعركة قتل فيها أستاذه شقيق البلخي سنة ١٩٤ هـ ، توفيّ حاتم الأصم سنة ٢٣٧هـ[٢٣].

وأبو يزيد البسطامي « الذي كان خلال وجوده في الثغر يحرس طيلة الليل ، ويرابط ويتعبد ويذكر الله ويذرف الدموع خشية لله العظيم ، ويتضرّع إلى الله العظيم لتمام النصر»[٢٤] ، ومن أقواله : لم أزل منذ أربعين سنة ما استندت إلى حائط إلاّ إلى حائط مسجد أو رباط في سبيل الله، وبذلك يتجلّى كيف كانوا رهباناً بالليل وفرساناً بالنهار ، لذلك يقول : أقامني الحقّ مع المجاهدين أضرب بالسيوف في وجه الأعداء ، توفي سنة ٢٦١هـ[٢٥] .

وأبو حمزة البغدادي أول من تكلم بالتصوف ببغداد مع صفاء الذكر وجمع الهمّة والمحبة والشوق والقرب والأنس بذكر الله ، وهو محمد بن إبراهيم أبو حمزة الصوفي ، كان عالماً بالقرآن، جالس أحمد ابن حنبل وبشر ابن الحارث، وكان له مُهْرٌ رَبَّاهُ يحبُ الغزو والجهاد عليه[٢٦] ، ويقول الجنيد عنه: « حُبِّبَ إلى أبي حمزة الغزو وكان يأتي بلاد الروم للمجاهدين معه وعليه جبة صوف» [٢٧] .

والسريّ السقطي ، وهو من كبار الصوفية ومن كلامه : من صفات الصوفي ألاّ يتكلم بباطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة ، حكا المؤرخون عنه الكثير عن المجاهدات في أرض الروم ، ويتجلّى رأيه في الجهاد في تفسيره للآية الكريمة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[٢٨]{ ، فقال : صابروا أراد الثبات في المعركة مع الاستقامة والصبر، قال الحسن بن البزّاز : سألت أحمد بن حنبل عن السريّ السقطي بعد قدومه من الرباط في الثغر فأثنى عليه ، توفي السريّ السقطي سنة ٢٥٣ هـ[٢٩].

والجنيد البغدادي المجمع على فضله وإمامته وتقدمه في سائر العلوم ، قال ابن كثير في ترجمته : سمع الحديث وتفقه ولازم التعبد ففتح الله عليه بسبب ذلك علوماً نافعة كثيرة ، وأموراً لم تحصل لغيره في زمانه ، وكان يعرف سائر فنون العلم حتى اشتهر بلقب « سيّد الطائفتين : الفقهاء والصوفية» [٣٠] ، وقد اشترك في الجهاد في سبيل الله ، يقول : « أرسل إليَّ أمير الجيوش شيئاً من النفقة فكرهت ذلك لنفسي ففرقتّها على محاويج الغزاة» [٣١] .

وبعد هذا العرض الموجز لجهاد أكابر شيوخ التصوف ، يمكننا القول أن تلك الروح الجهادية لم تأتِ اعتباطاً وإنما كانت نتيجة سلوكهم طريق المجاهدة للنفس التي تعدّ الجهاد الأكبر، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى»[٣٢] ، وبالانتصار على النفس يتمكن الإنسان من تحقيق معنى العبودية لله تعالى بالتزام شريعته، « فتتحقق الخلافة عن الله وبذلك تعمّر الأرض، ويدفع شر المفسدين فيها بالجهاد في سبيل الله وترتفع منارة التوحيد والعلم»[٣٣]، وبذلك جسّد الصوفية من خلال اندفاعهم إلى ميادين الجهاد ، الارتباط الإسلامي بين العبادة والجهاد ، « فأشاعوا في الثغور والرباطات شعوراً دينياً خاصاً له أبعد الأثر في الصمود والنصر بشجاعتهم ، ودعوتهم الجنود للاستبسال والصدق مع الله»[٣٤] .

وهكذا تكون التجربة الصوفية تغييراً جذرياً لشخصية الفرد من الأنانية والدونيّة في سلوكه وتصرفاته وعلاقاته مع الآخرين إلى شخصية تحمل القيّم الإنسانية بكل معانيها ، هذا بلا شك إبراز للجانب الأخلاقي للتصوف الإسلامي ، وهذا التغيير في شخصية الفرد هو الهمّ الأول الذي يركّز عليه أكابر شيوخ التصوف ، ومعهم أساتذة التربية المدركين لقيمة الأخلاق ، خاصة عندما تتعرض الأمة للأخطار المحدقة وللتحديات الكبرى .

هل ظهور صلاح الدين الأيوبي كان معجزة برزت فجأة على مسرح الأحداث؟

إن ظهور صلاح الدين الأيوبي – الذي اقترن اسمه بمعركة حطين وفتح بيت المقدس– لم يكن ظاهرة فردية « وشخصية عبقرية معجزة برزت فجأةً على مسرح الأحداث ، بل كان عيّنة لجيل مثله ، وثمرة مقدمات وتغييراتٍ قام بها القوم -الصوفية- آنذاك شملت الأمّة ففجرت فيها ينابيع العبقرية الجماعية وهيأتها للتخلص من الخطر الذي أحاق بها» [٣٥] ، في حقبٍ حالكةٍ مرت على الأمّة فإن التاريخ قد سجّل للصوفية وقفتهم في الدفاع عن مصر وإفشال الحملة الصليبية التي قادها (لويس التاسع)[٣٦]، قاصداً بيت المقدس عِبْرَ دمياط ، فدعا الشيخ أبو الحسن الشاذلي الناس إلى الجهاد ، بعد أن كُفّ بصره ودُقَت طبول الحرب بين يديه ، وسارع إلى موكبه كبار أئمة الدين في عصره ومنهم سلطان العلماء الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ، وإمام المحدثين الشيخ زكي الدين المنذري – صاحب الترغيب والترهيب– ومكين الدين وابن دقيق العيد ، ورجاله من الصعيد وابن الصلاح إمام أصول الحديث وغيرهم من الخاصة ، فضلاً عن الجماهير الهائلة ، فقد أثار خروج الشيخ أبي الحسن الشاذلي وهو مكفوف ، حماس الناس وغيرتهم، فتابعه الآلاف يخرجون إلى كفاح الفرنسيين بأموالهم وأنفسهم[٣٧] .

هنا يتبين لنا معالم المنهج الصوفي الذي بدأ يتبلور منذ عصر الغزالي ثمّ شهد أوسع تطبيق عمليّ له على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني، هذا المنهج الذي يرّكز على تغيير ما في النفس نحو الصلاح والسموّ الروحي وصولاً إلى الهدف المنشود ، ألا وهو إصلاح المجتمع برّمته ، فنرى أن التغيير يبدأ « في محتويات الأنفس ثم يعقبه تغيير في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والإدارية والقضائية وسائر الميادين» [٣٨] ، والتربية الصوفية تحاول باستمرار تغيير محتويات الأنفس التي تشمل القيّم والأفكار والميّول والاتجاهات والثقافة إضافة إلى التقاليد .

المبحث الثالث

جهاد الصوفية في العصر الحديث .

استمر التصوف في عصرنا الحديث على النهج الذي سار عليه في العهود السابقة فواجه مستجدات الأحداث التي فرضتها الظاهرة الاستعمارية في العصر الحديث ، فاتجه أصحابه إلى الجهاد لمواجهة المستعمر في كل البلدان الإسلامية .

ففي ليبيا تصّدى أبناء الطريقة السنوسية للمستعمرين مما اضطر السنوسي إلى تعليم مريديه فنون الفروسية والقتال .

وكذلك دعت المهدية في السودان إلى الجهاد فقاد المهدي ثورة على الجهل والظلم والاستعمار والفساد ، فأرسل الرسائل إلى السلطان العثماني يحثّه فيها على طرد الإفرنج من بلاد المسلمين ، وإلى خديوي مصر ، واتصل بأهل الشام وعيَّن لهم من يقودهم واتصل بقبائل فاس ونجد والمدينة ، يدعوهم إلى الثورة ، غير أنه أصيب بالجدري ومات في أمّ درمان سنة ١٣٠٢ هـ[٣٩] .

كما شاركت الطرق الصوفية في أعمال المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي والإيطالي في سائر الشمال الأفريقي (تونس ، الجزائر ، المغرب) ، كالثورة التي قام بها محمد بن عبد الله في تلمسان وصحراء الجزائر سنة ١٨٤٨م[٤٠].

ولم يختلف جهاد الصوفية في المشرق الإسلامي عن جهاد إخوانهم في المغرب ، فكانت أغلب الثورات تتمحور حول الطرق الصوفية وزعمائها في بلاد الشام والعراق ، فالشيخ عبد القادر الكسنزان (ت:١٣٤٠هـ-١٩٢١م) قد أعلن الجهاد بين المريدين خاصة وحثّ المسلمين عليه بصورة عامة ، فهو يناشد الناس في خُطَبه ومواعظه قائلاً : « أيها المسلمون هلّموا لمساعدة المجاهدين في الجنوب إخوتكم العرب فإن من حمل السلاح أو ساعد المجاهدين بأمواله ولسانه فهو مسلم مجاهد، شفاعته يوم القيامة واجبة وهو من أهل الجنة» [٤١] ، ولم يقتصر دور الشيخ عبد القادر الكسنزان على استنهاض همم المسلمين على الجهاد ، بل كان وقوفه وراء حركة المقاومة ضد الاحتلال الإنجليزي في تلك المرحلة من تاريخنا المعاصر ، قد أثار استياء الضابط السياسي البريطاني في شمال العراق س. جي. ادموندز والذي أصبح فيما بعد مستشاراً لوزارة الداخلية العراقية سنة ١٩٣٥-١٩٤٥[٤٢]. كذلك أكدت كتابات عدد من المسؤولين السياسيين والعسكريين البريطانيين على مساندة ودعم الشيخ عبد القادر الكسنزان لحركة المقاومة القوّية التي قادها الشيخ المجاهد محمود الحفيد ضد الاحتلال البريطاني في موقعة « الشعيبة « سنة ١٩١٦م[٤٣]، حيث شارك بقوة قوامها ثلاثة آلاف مقاتل في جنوب العراق وبعد عودته إلى الشمال شارك في موقعة « دربند بازيان « سنة ١٩١٨م[٤٤] .

إن مواقف الشيخ عبد القادر الكسنزان وإعلانه الجهاد وتحريضه عليه ، كان له تأثير يلهب قلوب المسلمين ضد بريطانيا ، وهو الرجل الروحي المحبوب ذو الصوت المسموع والجانب المرهوب ، مما حدا بقائد الجيش البريطاني في شمال العراق بأن يصّرح واصفاً إياه " حجر عثرة أمام زحف بريطانيا ، لذلك يجب عليهم الهجوم عليه ومطاردته حيثما كان» [٤٥] .

وبالفعل ، فعندما سيطرت بريطانيا على شمال العراق قرر القادة البريطانيون الهجوم على الشيخ عبد القادر الكسنزان وهو في قريته " كربجنة «، فلمّا عرف الشيخ بنواياهم أصدر أوامره إلى ابنه الشيخ حسين[٤٦]، (ت١٣٦٠هـ-١٩٤١م) بمهاجمة الجيش البريطاني المؤلف من ألف جندي والذي كان يعسكر بالقرب من قرية كربجنة وبعد معركة حامية الوطيس تمّ أسر من بقي من الجنود والضباط مع كامل أسلحتهم وعتادهم ، فثارت ثائرة بريطانيا إثر تلك الضربة الموجعة التي وجهها لهم الشيخ حسين الكسنزان كما أنه اشترك في معارك عدة خاضها ضد الجيش الروسي الذي كان يهاجم المسلمين عن طريق إيران، أثناء الحرب العالمية الأولى[٤٧]، كانت تلك المواقف الجهادية تلبية صادقة لتوجهات أقطاب الطريقة الكسنزانية في الحرص على أن الجهاد سنام الإسلام وضرورة جاء بها الدين للحفاظ على بلاد المسلمين كلما تعرّضت لأطماع الغزاة الطامعين، كما أنه يمثل تجسيدا للتربية الصوفية التي تحثّ على الإيثار والتضحية والاستشهاد في سبيل الله تعالى .

المبحث الرابع

الأمّة بين تحدّيات الحاضر وآفاق المستقبل .

ومهمـا يكن مـن أمر، فلا منـاص للأمة من الانكبـاب علـى تاريخهـا واسـتخلاص العبر والـدروس لتتضافر الجهـود كما تضافرت في الماضي فقامـت المدارس الصوفيـة بجهودها ابتـداءً من عهـد الغزالـي مروراً بالمدرسـة القادرية والمدارس الأخرى ، فسـاعد ذلك على تغيير وإصلاح النفوس والأفكار والقيّم والتقاليد والعـادات ، وشـملت آثـار ذلـك التغيير جميع الأحوال السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية والعسـكرية ، وصوّبت ممارساتهم نحو الهدف الـذي ترنو إليه الأمّة ، بعدمـا تكاملت الميادين وتفّعلت تخصصات الهيئـات والجماعات التي مضت خطوة خطوة وصولاً إلى إعلان الجهاد العسـكري والمضيّ إلى تحرير الأرض بعدما تحـرّر الإنسـان من رقّ واسـتعباد الشـهوات واللهاث وراء حطام الدنيا ، وبذلك اسـتطاعت الطـرق الصوفيـة أن تبني نفـوس جيل كامل اسـتطاع القائد صلاح الدين أن ينتصر به على الصليبييـن ويقهرهـم ، بجيـل قَهَرَ أولاً نفسـه وهواها ، وهذا هو مبنى السلوك الصوفي الذي لا يريـد من الإنسـان إلاّ أن يكـون حقاً ، عبداً للمولى لا للهـوى ، وان يُعمّر الأرض بخلافته لها كما أراد له الباري عزّ وجلّ .

الخاتمة

توصلت الدراسـة الـى أن التجربة الصوفية تعد تغييراً جذرياً لشـخصية الفـرد من الأنانية والدونيّـة في سـلوكه وتصرفاتـه وعلاقاته مع الآخريـن إلى شـخصية تحمل القيّم الإنسـانية بـكل معانيهـا ، وهذا بلا شـك إبـراز للجانب الأخلاقي للتصوف الإسلامي ، وهذا التغيير في شـخصية الفرد هو الهمّ الأول الذي يركّز عليه أكابر شـيوخ التصوف ، ومعهم أساتذة التربية المدركين لقيمة الأخلاق ، خاصة عندما تتعرض الأمة للأخطـار المحدقة وللتحديـات الكبرى . كما أن الدراسة شخصت بعض النتائج المهمة وهي:

١- إن الجهـاد سـنام الاسـلام وقطب الرحى فـي نشـر الدعـوة الاسـلامية بيـن النـاس بالكلمـة الطيبـة والموعظـة الحسـنة لمـن يقبـل الحـوار ويتبـادل الآراء ، وأمـا مـن أبى واسـتكبر فـإن للجهـاد أسـاليب أخرى .

٢- مـن الصوفيـة مَنْ تبوّأ موقـع الصدارة في نصـح الحكام والسـلاطين ووعظهم مما ترك أثرا ايجابيا على نفوس الحكام وعلى أبناء الأمّة كافـة ، وهذا إن دلَّ على شـيءٍ إنمـا يدلّ على الأسس التي يستند عليها كبار مشايخ الطريق في وقوفهم ضد فساد الحكام وضد طغيان السلاطين المتجبريـن عبـر تاريخ التصوف الإسـلامي.

٣- تجلـى لنا بحق ؛ أن الصوفيـة كانوا رهبانا في الليل وفرسـانا بالنهـار ، مبرؤون من تهمة التقاعـس عـن الجهـاد فـي سـبيل الله ، غيـر منقطعيـن عـن مجتمعاتهم بل هم يعيشـون في خِضّـم الأحـداث ويواجهون شـتى التحديات؛ وذلك لم يأت اعتباطاً وإنما كان نتيجة سـلوكهم

طريق المجاهدة للنفس والتي تعدّ عندهم الجهاد الأكبر ، لامتثالهم قول الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى»، وبالانتصار على النفس يتمكن الإنسان من تحقيق معنى العبودية لله بالتزام شريعته ، وبذلك جسّد الصوفية - من خلال اندفاعهم إلى ميادين الجهاد - الارتباط الإسلامي بين العبادة والجهاد ، بين العقيدة والسلوك ، مما جعل اندفاعهم في ميادين الجهاد سببا لانبعاث الشعور الديني في الثغور والرباطات مما كان له أبعد الأثر في الصمود و النصر بشجاعتهم ودعوتهم الجنود للاستبسال والصدق مع الله تعالى .

٤- استمر التصوف في عصرنا الحديث على النهج الذي سار عليه في العهود السابقة فواجه مستجدات الأحداث التي فرضتها الظاهرة الاستعمارية في العصر الحديث ، فاتجه أصحابه إلى الجهاد لمواجهة المستعمر في كل البلدان الإسلامية.

٥- ولم يختلف جهاد الصوفية في المشرق الإسلامي عن جهاد إخوانهم في المغرب ، فكانت أغلب الثورات تتمحور حول الطرق الصوفية وزعمائها في بلاد الشام والعراق كما كان اخوانهم في بلاد المغرب العربي وكافة بلدان شمال أفريقيا.

وخلاصة القول: يتبين لنا أن معالم المنهج الصوفي الذي بدأ يتبلور منذ عصر الغزالي ثمّ شهد أوسع تطبيق عمليّ له على يد الشيخ عبد القادر الجيلاني، هذا المنهج الذي يرّكز على تغيير ما في الأنفس نحو الصلاح والسموّ الروحي وصولاً إلى الهدف المنشود ، ألا وهو إصلاح المجتمع برّمته، فنرى أن التغيير يبدأ في محتويات الأنفس ثم يعقبه تغيير في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والإدارية والقضائية وسائر الميادين ، والتربية الصوفية تحاول باستمرار تغيير محتويات الأنفس التي تشمل الثقافة والقيّم والتقاليد والأفكار والميّول والاتجاهات .

فلا مناص للأمة اليوم من الانكباب على تاريخها واستخلاص العبر والدروس لتتضافر الجهود كما تضافرت في الماضي فقامت المدارس الصوفية بجهودها ابتداءً من عهد الغزالي مروراً بالمدرسة القادرية والمدارس الأخرى ، فساعد ذلك على تغيير وإصلاح النفوس والأفكار والقيّم والتقاليد والعادات فيكون آثار ذلك التغيير في جميع الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، لتكون الممارسة الصحيحة نحو الهدف الذي ترنو إليه الأمّة ، فتتكامل الميادين وتتفعل التخصصات والهيئات والجماعات وتمضي خطوة خطوة وصولاً إلى تحرير الأرض وكافة المقدسات بعدما يتحرّر الإنسان من رِقّ واستعباد الشهوات واللهاث وراء حطام الدنيا ، فتستطيع الطرق الصوفية بذلك أن تبني نفوس جيل يقَهَرُ نفسه وهواها ، وهذا هو مبنى السلوك الصوفي الذي لا يريد من الإنسان إلاّ أن يكون حقاً ، عبداً للمولى لا للهوى ، وان يُعمّر الأرض بخلافته لها كما أراد له الباري عزّ وجلّ .

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الهوامش

١- رواه الترمـذي في كتاب أبواب فضائل الجهاد ، باب مـا جاء فـي فضل من مـات مرابطـاً ، حديث رقم (١٦٢١) ، جـ٤، ص١٦٥ ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

٢- أنظر: زروق ، الشـيخ أحمـد ، قواعد التصوف ، ت : الشـيخ عثمان الحويمـدي ، دار وحي القلم ، ط١، ٢٠٠٤م ، بيروت ، ص١٠ .

٣- النـوري ، أبـو الحسـين ، أحمد بن محمـد النوري ، لُقّبَ بالنوري نسـبة إلى نـور في وجه ، كان يُعرَف بابـن البغويّ ، كنيته أبو الحسـن ، مسـكنه بغداد ، من معاصريه الجنيد البغدادي والسـري السـقطي ، رأى أحمـد بن أبـي الحواري ، توفي سـنه ٢٩٥هـ . الكسـنزان ، الشـيخ محمد ، موسـوعة الكسنزان فيمـا اصطلح عليه أهل التصـوف والعرفان ، ط١، ٢٠٠٥م ، دار آية ، بيروت ، جـ ٢٣ ، ص١٧ .

٤- شـرف ، د. محمـد جلال ، التصوف الإسـلامي في مدرسـة بغـداد ، دار المطبوعـات ، ١٩٧٢م ، الإسكندرية ، ص٢٢٨ .

٥- والبيت للشـاعر مسـلم بن الوليد الأنصـاري الملّقب بصريع الغواني وهو من شـعراء العصر العباسـي الأول . http://www.alwarraq.com .

٦- ابن تاشـفين ، إسـحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونـي ، آخر ملـوك دولة المرابطيـن بالمغرب الأقصـى ، كان صبياً في أيام أخيه أمير المسـلمين تاشـفين بن علـي ، واضطر تاشـفين أن يخرج من مراكـش (العاصمـة) لصد عبد المؤمـن بن علي الكومـي ، فقـدّم أهـل مراكـش إسـحاق (صاحب الترجمـة) نائباً عن أخيه سـنه ٥٣٧هـ . الزركلي ، خيـر الدين ، الأعـلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م ، بيروت ، جـ١ ، ص٢٩٥ .

٧- المنشاوي ، محمد ، فلسفة التصوف الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٨م ، مكتبة مدبولي ، مصر ، ص٨ .

٨- الجيلاني ، الشيخ عبد القادر ، الفتح الرباني والفيض الرحمانـي ، دار الريان للتـراث ، د.ت ، القاهرة ، ص١٩٨.

٩- الملك الكامل ، شعبان (الكامل) ابن محمد (الناصر) ابن قلاوون ، ولد سـنة ٧٤٧ هـ ، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشـام ، وُليّ السـلطنة بالقاهرة بعـد وفاة أخيه الصالح إسـماعيل ، وبعهد منه سـنة ٧٤٦هـ، كان طائشاً متهوراً مقبلاً على اللهو واللعب بالحمـام ، وصادر أمـوال الموظفيـن ، فثار أمراء الجيش فقاتلهم، فكسروه وخلعوه ، كانت مدة سلطنته سـنة وشـهرين ونصف ، فولـوّا السـلطنة لأخيه . الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، جـ٣ ، ص١٦٤.

١٠- الشافعي ، محمد عيد ، مكانة التصوف ، ط١، د.ت، مصر ، ص١٦٧ .

١١- مقتطفـات مـن كتـاب (السـلطة والمتصوفـة بين السياسـة والأخلاق) للسيد الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسـنزان ، مبحث « المتصوفة رسل المحبة والسلام».

١٢- الذهبي ، شـمس الدين ، تذكرة الحفاظ ، دار الكتب العلميـة ، ط١ ، ١٩٩٨م ، بيـروت ، ج١، ص٧١، والعسـقلاني ، أحمـد بـن علي ابن حجـر ، تهذيب التهذيب في رجال الحديث ، ت: علي محمد معوض وعـادل أحمد عبد الموجـود ، ٢٠١٢م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج١، ص٤٨٣ .

١٣- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد ، مسند الامام أحمد بن حنبل ، ت: شـعيب الأرنـاؤوط وآخرون، مؤسسـة الرسـالة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، بيـروت ، ص٣٤٨.

١٤- ابن سـعد ، محمد البغـدادي ، الطبقات الكبير ، ت: د. علـي محمد عمر ، مكتبـة الخانجي ، ٢٠٠٢م ، القاهرة ، ج٣ ، ص١٧٥ ،

١٥- ابن سمرة ، عبد الرحمن ، عبد الرحمن بن سمرة ، أبو سـعيد عبد الرحمن سمرة بن حبيبن عبد شمس القرشي ، صحابي ، من القادة الولاة ، أسلم يوم فتح

مكة وشـهد غزوة مؤتة ، ثم سـكن البصـرة ، وافتتح سجسـتان وكابل وغيرهما ، ووليّ سجسـتان ، وغزا خراسـان ففتح بها فتوحاً ، ثمّ عـاد إلى البصرة فتوفيّ فيهـا . لزركلـي ، الأعـلام ، مرجـع سـابق ، جـ ٣ ، ص٣٠٧ .

١٦- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ، تهذيب تاريخ دمشـق ، ت: عمرو بن غرامـة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م ، دمشق ، ج٢ ، ص١٧٩ .

١٧- الأصفهاني ، أبو نعيم ، حلية الأولياء ، ج٧ ، ص٣٨٨ .

١٨- ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة ، ج١٠، ص١٤٥ ، والحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، مادة سوقية .

١٩- الخطيـب البغـدادي ، أبو بكر أحمد بـن علي ، تاريخ بغداد، ت: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، ط١ ، ٢٠٠٢م ، بيروت ، ج١٠، ص١٥٧ .

٢٠- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ت: إحسـان عباس ، دار صادر، ١٩٩٤م ، بيـروت ، ج٣ ، ص٣٢ ، والعسـقلاني ، تهذيـب التهذيب ، ج٣، ص٢٤٧ ، المناوي ، الكواكب الدريّة ، مرجع سابق ، ج١ ، ص١٧٦ .

٢١- الرهـج : الغبار ، السـنابك : جمع سـنبك وهو طرف الحافر.

٢٢- الحفنـي ، عبـد المنعم ، الموسـوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٣م ، القاهرة ، ص٦١٨ ، ٦٢٠، ٦٢١.

٢٣- المرجـع السـابق ، ص٤٦ ، والزركلـي ، الأعلام ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٥٢ .

٢٤- ابـن العمـاد الحنبلي ، عبد الحي بـن أحمد بن محمد، شـذرات الذهـب فـي أخبار مـن ذهـب ، ت: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط١ ، ١٩٨٦م ، دمشق .

٢٥- عبد الحليم ، محمود ، أبو يزيد البسطامي ، ١٩٨٥م ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٧٣ .

٢٦- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١، ص٣٩٠ .

٢٧- السـخاوي ، شمس الدين ، طبقات الأولياء ، دار الفتح للدراسات والنشر ، ٢٠٢٠م ، عمان ، ص٦١ .

٢٨- سورة آل عمران:٢٠٠

٢٩- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص١٨٨ .

٣٠-(٢٨) ترجمة الجنيد انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١١ ، ص١٢٨ .

٣١- اليافعـي ، عبـد الله بـن أسـعد ، روض الرياحين في حكايـات الصالحيـن ، مطبعـة أحمد البابـي الحلبي ، ١٣٠٧هـ ، مصر ، ص٢١١ .

٣٢- السـيوطي ، عبد الرحمن بن أبـي بكر جلال ، الدرر المنتثـرة فـي الأحاديـث المشـتهرة ، ت: محمود بن لطفي الصباغ ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الباب حرف السين ، جـ١ ، ص١١، والعجلونـي ، كشـف الخفاء ومزيـل الإلباس ، جـ١ ، ص٤٢٤ ، رقـم الحديـث (١٣٦٢) . قـال ابـن حجر حديث مشهور .

٣٣- الرفاعي ، د. يوسف السيد هاشم ، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسـنة ، ط١ ، ٢٠٠١م، دار اقرأ ، دمشق ، ص١١٩ .

٣٣- د. حسـان صدقـي ، المطوّعـة ودورهم في حراسـة ديار العروبة والإسلام ، مجلة العربي الكويتية ، العدد ٢٨٧.

٣٤- الكيلاني ، د. ماجد العرسان ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ط١ ، دار القلم، ٢٠٠٥م ، الإمارات العربية المتحدة ، ص٢٨ .

٣٦- لويس التاسـع ، لويس أو القديس لويس ملك فرنسـا، قـام بقيادة الحملة الصليبية السـابعة عام ١٢٤٨م نحو بيت المقدس فكانت وجهته الأولى «دمياط» في مصر واحتلهـا عـام ١٢٤٩م ، إلاّ أنه هزم ثم أُسـر في أولى مواجهاته في موقعـة المنصورة عام ١٢٥٠م بزعامة الظاهر بيبرس ، ثم افتدى نفسه من الأسر، واستقر في الشـام لمدة أربع سـنوات عاد بعدها إلى فرنسا ، وفي عـام ١٢٧٠م قاد الحملة الصليبيـة الثامنة وأبحر نحو تونس أملاً في حمل سـلطنتها على اعتناق المسـيحية، ومـن ثم الانطـلاق نحو مصر التي كانـت مفتاحه في استرجاع بيت المقدس ، لكن المنيّة عاجلته منذ أن وطأ أرض تونـس عام ١٢٧٠ م ، فقامت الكنيسـة بإدراجه

في قائمة القديسين . أبو كف، أحمد ، أعلام التصوف الإسـلامي ، دار الهلال ، د.ت ، مصر ، ص٤٨ – ٤٩ ، أنظر: ويكيبيديا – الموسوعة الحرة .

٣٧- النابلسـي ، الشـيخ عبـد الغني ، كشـف النور عن أصحاب القبور، ت: بسّام محمد بارود ، ٢٠٠٥م ، د.ن ، د،م ، ص١١٠ .

٣٨- المرجع السابق ، ص٣٠ .

٣٩- الحفنـي ، عبـد المنعـم ، الموسـوعة الصوفيـة ، ص٦٨٥.

٤٠- المرجع السابق ، ص٣٦٧ .

٤١- الكسـنزان ، الشـيخ محمـد ، الأنـوار الرحمانية ، مرجع سابق ، ص٢٤٩.

٤٢- Edmonds ١٩٥٧:٣٥٦

٤٣- نصـار ، د. جمـال ، الطريق إلـى الطريقة ، ط١ ، ١٩٩٧م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ص٨٥.

٤٤- الحفيد : الشيخ محمود بن الشيخ سعيد بن كاكا أحمد الشـيخ بن الشيخ معروف النودهي الذي يرتفع نسبه الى الدوحة المحمدية ، ولد سنة ١٢٩٨هـ-١٨٨١م ، تربى في بيت علم ودين وشرف ، درس على علماء السـليمانية ، سـطع نجمه في حياة والده الذي رافقه الى الأسـتانة بدعوة من السلطان عبد الحميد الثاني، ثم عاد الى الموصل . شـارك فـي مقاومة الاحتلال البريطانـي للعراق بثلاثـة آلاف مقاتل وبعد عودته من الشعيبة جنوب العراق ، قاد حرب عصابات ضد الروس الذين حاولوا الزحف على كردستان العراق واستمر في مقاتلتهم طوال سنتين ١٩١٥-١٩١٦ملا واعلن نبأ تعيينه (حكمدار) على كردسـتان العراق فـي ١٩١٨م فحشـدت بريطانيا قواتهـا وحاصرته فـي دربند بازيـان حيث وقعت المعركـة التاريخية وعلى إثرها جرح ووقع أسير بيد القوات البريطانية فحكمت عليه بالإعدام واستبدل بالنفي الى الهند وبعد سـنتين اضطر الانجليز إثر اشتداد الحركة الوطنية في كردسـتان ، فإعادته الى السـليمانية (حكمدار) حتى عام ١٩٣٦م حين أعاد الانجليز توحيد المملكة العراقيـة ، توفي سـنة ١٩٥٦م ودفن في غرفة جده الشيخ كاكا احمد صاحب المرقد المشهور في الجامع الكبير في السليمانية .

٤٥- الكسـنزان ، الشـيخ محمـد ، الأنـوار الرحمانية ، مرجع سابق ، ص٢٤٩ .

٤٦- الكسـنزان ، الشـيخ محمد ، موسـوعة الكسنزان ، ج٢٣ ، ص ٢٦٣ .

٤٧- المرجـع السـابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ ، ونصـار ، د. جمـال ، الطريـق إلى الطريقة ، مرجع سـابق ، ص٨٨-٨٩ .

المصادر

١- الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، ت: بشارعواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط١ ، ١٩٩٦ م

٢- زروق ، الشيخ أحمد زروق ، قواعد التصوف ،الشيخ عثمان الحويمـدي ، دار وحي القلم ، ط١، ٢٠٠٤م ، بيروت

٣- الكسـنزان ، الشيخ محمد ، موسـوعة الكسنزان فيما اصطلـح عليـه أهـل التصـوف والعرفـان ، ط١ ، ٢٠٠٥م، دار آية ، بيروت

٤- شـرف ، د. محمـد جلال ، التصوف الإسـلامي في مدرسـة بغـداد ، دار المطبوعـات ، ١٩٧٢م ، الإسكندرية

٥- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م ، بيروت ، جـ١ ،

٦- المنشاوي ، محمد ، فلسفة التصوف الإسلامي ، ط١، ٢٠٠٨م ، مكتبة مدبولي ، مصر

٧- الجيلاني ، الشيخ عبد القادر ، الفتح الرباني والفيض الرحماني ، دار الريان للتراث ، د.ت ، القاهرة

٨- الشـافعي ، محمد عيد ، مكانة التصوف ، ط١، د.ت، مصر

٩- الذهبـي ، شـمس الدين ، تذكـرة الحفـاظ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٨م ، بيروت

١٠- ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد ، مسـند الامام أحمد بـن حنبل ، ت: شـعيب الأرنـاؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، بيروت

١١- ابن سـعد ، محمد البغدادي ، الطبقات الكبير ، ت: د. علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، ٢٠٠٢م ، القاهرة.

١٢-ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ، تهذيب تاريخ دمشـق ، ت: عمرو بن غرامـة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٩٩٥م ، دمشق

١٣-الخطيـب البغـدادي ، أبو بكر أحمد بـن علي ، تاريخ بغـداد ، ت: بشـار عـواد معـروف ، دار الغـرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م ، بيروت

١٤-ابن خلكان ، أبو العباس شـمس الدين ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ت: إحسان عباس ، دار صادر ، ١٩٩٤م ، بيروت

١٥-الحفنـي ، عبد المنعـم ، الموسـوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٣م ، القاهرة

١٦-ابـن العماد الحنبلـي ، عبد الحي بن أحمـد بن محمد، شـذرات الذهـب فـي أخبار مـن ذهـب ، ت: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط١ ، ١٩٨٦م ، دمشق

١٧- عبد الحليم ، محمود ، أبو يزيد البسطامي ، ١٩٨٥م ، دار المعارف ، القاهرة

١٨- السـخاوي ، شمس الدين ، طبقات الأولياء ، دار الفتح للدراسات والنشر ، ٢٠٢٠م ، عمان

١٩- اليافعـي ، عبـد الله بـن أسـعد ، روض الرياحين في حكايـات الصالحيـن ، مطبعـة أحمد البابـي الحلبي ، ١٣٠٧هـ ، مصر

٢٠- السـيوطي ، عبد الرحمن بن أبـي بكر جلال ، الدرر المنتثـرة فـي الأحاديـث المشـتهرة ، ت: محمود بن لطفي الصباغ ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، الرياض

٢١- الرفاعي ، د. يوسف السيد هاشم ، الصوفية والتصوف في ضوء الكتاب والسـنة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، دار اقرأ، دمشق

٢٢- د. حسان صدقي ، المطوّعة ودورهم في حراسة ديار العروبة والإسلام ، مجلة العربي الكويتية ، العدد ٢٨٧

٢٣- الكيلاني ، د. ماجد العرسان ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، ط١ ، دار القلم ، ٢٠٠٥م، الإمارات العربية المتحدة

٢٤- أبـو كف ، أحمـد ، أعلام التصوف الإسـلامي ، دار الهلال ، د.ت ، مصر

٢٥-النابلسي ، الشيخ عبد الغني ، كشف النور عن أصحاب القبور ، ت: بسّام محمد بارود ، ٢٠٠٥م ، د.ن ، د،م

٢٦- نصـار ، د. جمـال ، الطريـق إلى الطريقـة ، ط١ ، ١٩٩٧م ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان .

Sufi jihad for the sake of God in belief and behavior

Lect. Dr.Adel Allawi Al Nuaimi
Al Salam University College

Abstract

Sufism had a great impact on mobilizing people to defend the safe havens of Islam and its people in general. Here we must examine the history of the great early Sufis and those who came after them until our present era to see whether they were truly monks by night and knights by day, or were they accused of neglecting to fight for the sake of jihad in the cause of Allah or were they cut off from their communities, isolated from the nation, and what challenges do they face?

Thus, the Sufi experience constitutes a radical change in the individual's personality from selfishness and inferiority in one›s behavior, actions, and relationships with others into a personality that carries human values in all their meanings. This is undoubtedly a highlight of the moral aspect of Islamic Sufism, and this change in the individual's personality is the primary concern that the greatest sheikhs of Sufism focus on alongside education teachers who are aware of the value of ethics, especially when the nation is exposed to imminent dangers and major challenges.

Whereas the doctrine of jihad is based on verses in the Holy Qur'an, as well as on the Sunnah of the Messenger of God , may God Almighty's blessings be upon him and his family, which went on to encourage jihad in many traditions.All of this was made entrenched in the hearts and minds of the people of the nation, which those generations quickly assimilated and sought to embody practically. These principles were transferred from the Qur'anic and Prophetic roots to a practical life path and a tangible reality. This is - as we have said - because the obligation of jihad occupies a prominent place in our honorable law. Jihad is considered the hump of Islam and the millstone in spreading the Islamic call among people, beginning with the good word and good advice to those who accept dialogue and exchange opinions, and to those who refuse and are arrogant . Jihad has multiple gates , which I have examined. This study has included many aspects: the first topic included an explanation of the obligation of jihad and its types in Islamic law. The second topic was to cast a historical look at the jihad of the great Sufis. The third topic dealt with the jihad of Sufis in the modern era, and the fourth topic was explaining the nation's position in the face of the challenges of the present and future m that may be faced.